رعاية البيت

عليك القيام على بيتك وحمايته من الزحف الجارف الذي يحمل الأفكار الخاطئة والصور الخليعة والمشاهد الهابطة مما يُبث ويُنشر عبر القنوات الفضائية والمجلات المبتذلة، فإنها تفعل بالعباد والبلاد من الفساد أعظم مما تفعله الجيوش الغازية والكتائب المحاربة فاحم أسماع وأبصار وقلوب أبنائك واحذر من نقضك لميثاق رعايتهم، فتسقط سقطة لا قيام بعدها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾.

اكتب تاريخك بنفسك

المسلم كالنخلة كل شيء فيها مفيد فتجد المسلم يجود بماله وطعامه ويعير كتب العلم لمن يستفيد منها ويقف مع المنكوب ويواسي الفقير ويزور المريض ويوقر الشيخ الكبير ويحترم العالم ويبغض الظلمة ويبسط وجهه للناس ويُحسِنُ خلقه للمسلمين ويشفع بجاهه وبالجملة فإنه يعمِّر عمره بالصالحات فلا يترك فضيلة يقدر عليها إلا فعلها مع حرصه على ترك أثر صالح بعده من كتاب نافع يوقفه أو يؤلفه أو مسجد يبنيه أو بئر يحفرها أو ولد صالح يخلفه أو شجرة مثمرة يزرعها أو مشروع خير يساهم فيه.

أصول العلم والدعوة والإصلاح

فائدة: في أن المجددين والمصلحين يسهلون العلم وييسرون

الدعوة ويجتنبون التعسير وتصعيب المسائل والغرائب والشواذ، وذلك لأن العلماء المجددين المصلحين فهموا الشريعة وهي حنيفية سمحاء سهلة ميسرة لا حرج فيها ولا مشقة فتراهم يبسطون العلم لطلابه ويسهلون دعوتهم لمتبوعيهم اقتداء بإمامهم المعصوم ﷺ في قوله: «يسروا ولا تعسروا. وبشروا ولا تنفروا» وفي نهيه عن التنطع والتعمق والتكلف فليس عند هؤلاء الأئمة وقت لتشقيق الكلام وتزويق الخطاب وعرض الحواشي وزبد القول على الناس بل يقصدون إلى أصوب الأقوال وأقرب الطرق وأيسر السبل في كلامهم وخطبهم ومواعظهم وفتاويهم ومؤلفاتهم فلا يغرقون في الجزئيات ولا يهيمون في بيداء الاحتمالات وليل الخيالات، فعندهم ما يشغلهم من تعليم الدليل وعرض الوحي غضًّا طريًّا كما نزل فيقولون ما يكفي ويشفي وينهون عن كثرة الكلام والقيل والقال والردود والتوقعات ويختصرون القول في الفتيا عامدين إلى الدين قاصدين الراجح تاركين الفضول والزائد فتجد الصحابة أقل الناس كلاماً وأكثرهم علماً وعملاً يقولون كلاماً سهلاً بسيطاً يفهمه عامة الناس ولكنه السهل الممتنع والشهد المصفى والطيب المبارك وتجد هذا عندالأئمة ابن المسيب والحسن والزهري وعطاء وأبي حنيفة ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد فإن كلامهم واضح وتآليفهم ميسرة ليس فيها غرائب ولا شذوذ بل نهوا عن الغرائب وزجروا عن القول الشاذ وطالبوا بتعزير من تشاغل بعلم الكلام وأعرضوا عن المكثرين من توليد المسائل والتشبع بكثرة الأقوال وعلى ذلك سار المجددون: كشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد

الوهاب فإن كتبهم مشرقة العبارة سهلة العرض قوية الدلالة خالية من الحشو والاعتراض والاحتمال والتشقيق والتقعر والشاذ والغرائب وبعكسهم وعلى الضد من ذلك علماء المبتدعة ورؤساء الضلالة فإن عندهم من الرموز والتكليف والتفيهق والتفاصح والإغراب على الناس وكثرة المصطلحات ما يفوق الوصف مع قلة العلم وضحالة الفهم ومرض القلب وفساد الرأي وظلمة البصيرة ولك أن تنظر في تأليف الجهميّة والرافضة والمعتزلة ومن هو شر منهم كالإسماعيلية الباطنية وغيرهم لتجد في كتبهم من الصعوبة ما يحيّر العقل فما أبعدها من نور الوحي وسماحة الشريعة فإنهم وضعوا لهم مراسيم من العلوم وحدوداً من المعرفة وقوانين اصطلحوا عليها حتى كأنك تقرأ ألغازاً ورموزاً وحروزاً يصعب كشفها فهم هائمون على هذا التحذلق مغرقون في مسائل الجوهر والعرض والعلّة والمعلول والمركّب والبسيط والواجب والممكن والقديم والمحدث ونحو ذلك ثم إن علومهم المفضلة علم الكلام والمنطق والفلسفة حتى حشوا كتبهم في أصول الفقه بهذه العلوم وهم أضعف الناس في فهم القرآن والسنة بل كثير منهم لا يحفظ القرآن ولا يميّز بين الصحيح والضعيف في الحديث بل يروي الموضوع وينسبه للرسول ﷺ بخلاف علماء الإسلام وحملة الوحي فعندهم من سهولة العبارة وصفاء المنبع ما يجعل العمّيّ في شوق للفهم فكيف بطالب العلم، فأهل السنة يوردون الدليل كتاباً وسنة وكلام السلف ثم يذكرون في يسر ما فهموه من الدليل وبعضهم لا يتكلم أصلاً من عنده بل يورد الأدلة وكلام السلف ساكتاً على ذلك فهذه كتب السنة أمامك:

الموطأ والصحيحان والسنة والمسانيد والمعاجم والمصنفات وهذا التوحيد لابن خزيمة والتوحيد لابن عبد الوهاب وكتب ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وغيرهم، هل فيها ذاك الحشو والتعقيد الذي طفحت به كتب المبتدعة لا وكلا فليعلم هذا الأصل.

وقفات

إذا قصّرت في صيام النهار وقيام الليل والصّدقة فأكثر من ذكره سبحانه وتعالى وليكن لسانك رطباً بذلك ليجتمع لك الخير كله أوله وآخره وليكمل ما نقص عليك من عمل.

فائدة

في موقف العلماء والمصلحين من السلطان المسلم وأنهم وسط في علاقتهم به فلا مداخلة لطلب الدنيا والجاه منه ولا منابذة وخروج عليه.

وجملة ذلك أن علماء السنة لا يخالطون السلطان مخالطة من أحب الدنيا ورضي بها وتعلّق بالجاه وأراد قرب السلطان لمنافعه الذاتيّة كما فعل علماء المبتدعة كبشر المريسي ومحمد بن الجهم وأحمد بن أبي دؤاد وغيرهم ولا ينابذون السلطان المسلم العداء ويؤلبون عليه ويدعون للخروج عليه كما فعلت الخوارج، وتفصيل ذلك أن مخالطة السلطان من حيث هي لذاتها لا تحب ولا تحبذ لما فيها من الخطورة وتعريض الدين للنقص وما يتبع ذلك من سكوت عن منكر ومتابعة على

مخالفة. ولذلك يُروى في الحديث «من دخل على السلطان افتتن» وحذّر السلف من مغبة الاختلاط بالسلطان لأنها لا تؤمن غوائل ذلك على النفس والدين بل ذكر ابن الجوزي في صيد الخاطر أن مِنَ العلماء من داخل السلطان حتى ذهب عنه نور العلم وأصبح كالشّرطة، وذكر أهل الجرح والتعديل في رجل أنه كان يدخل على السلطان كالجرح له. ولا تجد عالماً سنيًّا إماماً يُقتدى به مثل مالك وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد وابن المسيب والحسن البصري قد خالط السلطان وصار من خاصته وجلّاسه بل هؤلاء كانوا يفرّون من ذلك ويرفضون المنصب ويجبرهم السلطان على تولّي القضاء فيأبون أشد الإباء حتى ضُرب بعضهم في ذلك. وأمّا مخالطة الزهري لخلفاء بني أمية فهي مما أخذ عليه رحمه الله تعالى وقد نهاه عن ذلك العمري العابد الزاهد وغيره ومن مثل الزهري في قوله الحق وصدقه حتى أنه كذّب هشام بن عبد الملك لما ذكر أن الذي تولّى كبره في قصة الإفك علي بن أبي طالب صانه الله من ذلك فزجره الزهري وردّ عليه قوله أمام الناس، فمخالطة السلطان مخاطرة حتى قال بعض الحكماء: مخالط السلطان مثل ممازح الأسد لا يؤمن بطشه. ومثل ملاعب الحيّات لا يؤمن لدغها. ومثل قاطع السبيل لا يؤمن صولته، بالمقابل ما كان علماء السلف يخرجون عن طاعة السلطان المسلم ولا يشقون عصا الطاعة عليه ولا يعصون أمره ما لم يكن معصية لله لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وأمره ﷺ بطاعة الوالي المسلم ما لم يُر كفر بواح عندنا فيه من الله برهان وأمره بلزوم جماعة المسلمين

ودعوته ﷺ للصبر على جور السلطان وعدم الخروج على البيعة ومناصحته واجتناب غشه وغدره فالعلماء الصادقون المصلحون وسط في هذا الباب بين من سكت على ظلم السلطان وفجوره وجوره وخالطه وأخذ من دنياه وصار من بطانته ورضي أن يكون من خاصته وبين من حمل السيف عليه ودعا إلى منابذته وغدر ببيعته. ومن قرأ سيرة علماء الإسلام بإمعان عرف ما قلته وفهم ما أشرت إليه وعمل بمقتضاه وصار علمه نافعاً وعمله صالحاً ودعوته مباركة فنسأل الله الصدق في الأقوال والعدل في الأحكام والصلاح في الأعمال.

نريد عباقرة

لو كان لنا من الأمر شيء لأشرنا على إخواننا في البلاد الإسلامية بتوجيه الطالب بعد المرحلة الثانوية إلى مادة واحدة فقط من العلم يدرسها ويفهمها وينتج فيها. فمن عنده ميول إلى الحديث مثلاً توجه لهذه المادة بعد الثانوي فدرسها وحدها وعاشها ليلاً ونهاراً حتى يبدع ويأتي بالأعاجيب وكذلك محب الفقه أو التفسير أو غيرهما من مواد الشريعة أو العلوم الدنيوية كالطب والهندسة والكيمياء بحيث إن الطالب لا يعرف إلا هذه المادة فيغوص على أسرارها ويلم بها ويقتلها بحثاً ليكون وحيد زمانه، عندها سوف تخرّج الأمة عباقرة في التخصصات ومجدّدين في هذه العلوم، أما حشد المواد على الطالب بهذه الطريقة سواء ما أحب من المواد أو ما لم يحب، والاكتفاء بمذكّرات ميسرة فهذا يخرج لنا مثقفين على هامش الحياة يصلحون

موظفين فحسب.

رجال أعجبوني

أنا معجب بابن الجوزي الواعظ في علو همته وحُسن تصنيفه وسعة علمه وأحسن كتبه عندي صيد الخاطر ثم تلبيس إبليس وليته ترك مدح النفس والدعاوى فيكفيه هذا الخلود الذائع والثناء الدائم، وهو من أعظم وعّاظ التاريخ وخطباء الدنيا.

وأعجبني الإمام البخاري في توقد ذكائه وقوة فهمه وجودة صحيحه وذيوع شأنه رحمه الله.

وأعجبني الشاطبي في كتابيه الاعتصام والموافقات فقد أغنت عن آلاف الكتب والرسائل وهكذا، فكثرة التأليف مع الإعادة والتكرار ما هي إلا مضيعة للعمر في غير طائل.

وأعجبني الحريري في مقاماته فقد سبق من قبله وأتعب من بعده وأتى بالعجب العجاب.

وأعجبني الشوكاني في علو همته وكثرة علومه وجلده على الطلب وصبره على التحصيل.

وأعجبني الإمام محمد بن عبد الوهّاب في تسهيله للعلم وتقريبه الدعوة للناس ومعرفته بما يصلح لزمنه وبُعده عن التشقيق والتكلّف والتنطّع.

بداية مناسبة

يبدأ الخطيب الذكي هادىء الصوت، خافت النبرة، ثم ينتعش رويدًا رويدًا، فيعلو صوته، ثم يتفجر في وسط خطبته إن كانت من الخطب الزاجرة الرادعة المُهيّجة.

ليس للخطيب أن يبدأ صارخًا مفجوعاً، لماذا؟ وما هي المناسبة؟

كان الحجاج مضرب المثل في جودة الخطابة يقف على المنبر وأياديه في أكمام ثوبه، فيتكلم فلا يسمعه إلا من كان قريباً من المنبر، ثم يعلو صوته، ويهدر ويتهدج، وتبرز يداه فيمتلىء المكان بدوي صوته الضخم حتى يسمعه أهل الأسواق.

والمقصود هنا البداية الهادئة المطمئنة.

أبو العلاء المعرّي
(أعمى البصر والبصيرة)

سرَّحتُ النظر في دواوين أبي العلاء المعرّي فإذا الرجل مريض القلب منحرف عن الجادّة ليس عنده دين يردعه ولا حياء يردّه يستهزىء (قاتله الله) بالرسل والرسالات، ويشكك في صدق الشريعة، ويسخر من الملّة، في بذاءة مكشوفة وصفاقة وقحة فعلى هواة الشعر أن يحذروا منه ويحتاطوا لدينهم من رجسه فقد تتبعته في شعره قصصاً حتى خبرت الرجل وعرفت غوره فإذا هو ضال في معتقده جاهل بربه

مغتر بنفسه، أما ذكره للموت: فكل يحسن هذا ويعرفه حتى فرعون يعرف أنه سوف يموت ولكن القضية ما بعد الموت والتهيّؤ لتلك المواقف التي تجعل الولدان شيباً. وإنما حذرتك من هذا الشاعر المتهوّك من باب النصيحة الشرعيّة والأمانة العلميّة فاحجر على قلبك أن تلج إليه شبهة وصن أبناءك أن تصلهم لوثة عقديّة، وحافظ على دينك أن يُسلب منك وأنت لا تشعر ولا تُدخل بيتك إلا كتاباً ترضاه وتأمن عاقبته فقد ناصحتك من الأغاني لأبي الفرج ومن شعر أبي نواس ومن هذا الضال أبي العلاء المعري ومن أمثالهم من صرعى الشهوات والشبهات ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

خصال حميدة

من أجلّ خصال المسلم الحميدة انكساره لمولاه وشعوره بالتقصير وندمه على الذنب وتواضعه ومقته لنفسه في جنب الله مع حفظه لوقته فلا يذهب منه سدى وإنما يستثمره فيما يصلح من الأقوال والأعمال. ومنها استغناؤه عن الناس فإن أهون الناس عند الناس من احتاج إلى الناس فتجد عندهم من المنة والصدود والتبجّح بالعطية ما يفوق الوصف، ومنها قيامه على أهله تربية وكسباً وتعليماً فإن هذا نوع من أنواع الجهاد وباب من أبواب البر. ومنها اقتصاده في أموره وإعطاء كل ذي حق حقه فإن بعض الناس أهمل نفسه وأعفاها من تكاليف معالي الأمور فتراه ساقط الهمة رذيل النفس لم يفلح في دنيا ولا أخرى وما عليه أن يوصم بالمعائب وأن يوصف بالمثالب لأنه ميت القلب.

الجوع يدفع بالرَّغيف اليابس

وجدت أننا نحرص على جمع المال ونخاف الفقر ولا يملأ عيوننا شيء وكثير مما نجمعه لا نأكله، ولو تدبر العاقل وجد أن رغيفاً يكفيه لو جاع وتجد بالتجربة أن من شبع بأي طعام ولو كان شعيراً فقد كف نهمته ورغبته عن كل طعام، وهذا هو ما جعل كثيراً من السلف الأخيار لا يبالغون في طلب الدنيا ويقتصدون في النفقة ويرضون بالقليل، فقد عاش مثلاً أحمد بن حنبل قرابة سبعين سنة على كسر الخبز والتمر، وعاش المأمون والمعتصم كل منهم قرابة ستة وأربعين سنة على ألذ المطاعم وأشهى المآكل وكل ما لذّ وطاب من طعام وشراب فهل نفعهم طعامهم في تأخير أجل أو حسن عمل؟! وهل ضرَّ أحمد بن حنبل رداءة طعامه وشظف عيشه؟! إن العمر قصير والأيام قلائل والعافية يصلح معها أي طعام مع الستر والأمن فلا تتعب نفسك في جمع الأموال وعليك بالكفاف وإذا سلمت من الدَّين فأنت سعيد وما عال من اقتصد.

تدبير أمر المعيشة

لا أدعوك لتضييع المال ولا أحب لك البخل لكن احفظ مالك إلاّ من حق شرعي فإن المال نعم العون على الدين ورأينا من يُزهد الناس في الدنيا وهو يحتال لجمعها، وتجد من يدعي حبك فإذا طلبته قرضاً عبس وبسر، ولطالب العلم أن لا يباشر التجارة بنفسه فلو أعطى ماله

بالمضاربة لكن حسناً والعقار هو الابن البار، وما أكدّت عليك هذه المسألة إلا لأن المال قوام الحياة ومن افتقر ذل للأغنياء والسلاطين إلا من حاله كحال سعيد بن المسيب وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وأين نحن منهم؟! وقد رأينا مَنْ زهّد الناس في المال ثم دار بأوراقه على التجار يطلبهم المساعدة في زواجه وقضاء ديونه، ورأينا مَنْ ذم السلاطين وانهماكهم في الدنيا ثم كتب لهم يطلبهم مالاً، فاطلب الدرهم الحلال وعليك بالمكسب الطيب تكفّ به وجهك من ذلّ السؤال وتسلم من التردد على السفلة وطلب الأنذال، وقد أخبرني أحد الصالحين أنه تردد على ستة من التجار يطلب قرضاً إلى أجل وكلهم اعتذر وستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا.

شجاعة الخطيب

تكمن شجاعة الخطيب في رباطة جأشه، وسكون خاطره، واطمئنان نفسه، فهو يواجه الجموع وعليه السكينة واثقاً من نفسه، مؤمناً بما يقول، قديراً على ضبط الموقف.

الخطيب الشجاع يهدأ أحياناً في موقف الهدوء فيلطّف صوته، وتخف نبرته، ويزمجر في موقف الإثارة والقوة، فيشد الحاضرين، ويلهب القلوب بسياط وعظه، ويصك صوته الآذان فتصل حرارة كلماته إلى سويداء القلوب.

إن أول الفشل هو جبن الخطيب وخوره، فما أن يشعر بالضعف والانهزام إلا وترتجف أعضاؤه، ويتلعثم لسانه، ويسيل عرقه، حينها

لا تسأل كم هو الإحراج الذي يعيشه سامعوه فضلاً عنه، وهذا هو سقوط الخطيب صراحة.

كيف يؤثر في الجموع من يرهبها؟ وكيف يستولي على قلوبها من يخجل منها؟.

إن قوة القلب في مواجهة الناس مدد عظيم يمنحه الله أهل القدرات والمواهب فيجدون في مخاطبة الجماهير سلوةً وحياةً ومتعة، فكلما كثر الجمع زاد أحدهم قوة وجاذبية وتوقداً ولموعاً.

ولقد قرأت لخطيب شهير وهو يقسم قسماً أنه كلما كثر الجمع عليه وازدحم الناس إليه كلما زاده ذلك قوة في الأداء وزيادة في العطاء وجودة في الإلقاء وسخاءً في الجمل وبراعة في العرض.

ابن الزبير يخطب في أتباعه وبروق المنايا فوق الحرم، وقذائف المنجنيق تهوي عليه من جبال مكة، وقلبه في عنفوان ثباته، بارد الأعصاب، متماسك القوى، لأنه يحمل مبدأً.

وطارق بن زياد يستعرض جيشاً مدججاً بالسلاح فينثر عليهم خطبة حية من أبرع خطب التأريخ وهو يرتجلها في يوم عصيب.

أول الفشل الشعور بالفشل. والإخفاق ابن بار للجبن. والتفوق تاج للمقدمين الشجعان.

النص على ظاهره وعمومه إلا ما ورد دليل بخلافه

كان سلفنا الأخيار يتناولون نصوص الكتاب والسنة تناولاً سهلاً

ميسوراً قريباً، همهم العمل بما دل عليه الخطاب، والاهتداء بهدي هذا الكتاب، ولم يكونوا متكلفين للمعاني البعيدة، أو متشاغلين بتصريف الكلمة ونحوها، وإعراب كل نقطة، وجمع الشواهد على كل آية أو حديث، وإحضار كلام كل عالم عند كل مسألة.

قل لي بربك لو سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يحدث الناس في المسجد عن ساعة الاستجابة يوم الجمعة، ثم قال: فيها ثلاثة وأربعون قولاً، ثم سردها، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح، أو ذكر ليلة القدر، وقال: فيها لأهل العلم خمسة وأربعون قولاً، كما في الفتح، وذكر جلود الميتة، وقال: فيها سبعة أقوال، كما في سبل السلام، فماذا ترى يفعل عمر؟! ما أظنه إلا سوف يعزر هذا المتكلم ويزجره ويردعه، لأنه تكلّف، وعمر يقول: نهينا عن التكلف.

ولأنه تعمّق وتنطّع، وفي الحديث: «هلك المتنطعون والمتعمقون».

ولأنه شدد على الناس، وفي الحديث: «يسروا ولا تعسروا».

ولأنه أكثر على الناس، وكاثر بعلمه، والله يقول سبحانه: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾.

ولأن هذا خلاف هديه ﷺ في العلم وهدي أصحابه.

إن علينا أن نتفقه في النص، ونأخذ بظاهره، ونجتهد في فهمه، ثم لا نمطره بوابل من أقوال الناس واختلافهم فنشتت الأذهان، ونتعب

القرائح، ونصعّب العلم، ونعسّر الطريق إلى الفقه في الدين.

قال تعالى عن كتابه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ أما جملة: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ﴾ فغاية في البلاغة، يسجد لحسنها العقل في محراب البيان، سجدة طويلة لروعة جمالها، وعظمة جلالها.

وقل لي بربك: أي كلمة من كلمات العربية تصلح أن تحل محلها، أو تقوم بمعناها، أو تؤدي غرضها.

قف عند قوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ﴾ لتجدها طوت المكان والزمان، وأتت على الأمم والقرون، وشملت الآثار والأفكار والديار والأخبار، وعمّت الأقوال والأفعال والأجيال، فقوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ كل ما جد بعد القرآن من علم أو حدث من فكر أو وقع من حدث أو حصلت من كائنة أو نزلت من نازلة، فمن بين يديه كل ما أتى بعده ووقع بعد نزوله، وأما قوله: ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ﴾ فهو ما سلف وما تقدم قبل نزوله، من كائنات ونقولات ومثلات، وقصص وعجائب وغرائب.

فهذا القرآن لا يدخله النقص ولا التناقض ولا التكذيب والرد مما قبله ولا مما جاء بعده، ولو عبر في غير القرآن بتعبير من قبل نزوله ومن بعد نزوله، أو نحو ذلك من العبارات، لبقي المشهد عادياً مألوفاً، ولكن جاء هكذا ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ﴾ فإذا الصورة الحية مع حسن الإيقاع، وقوة المشهد وحسن العرض وجاذبية الجمل وإشراق العبارة..

وأحسن ما نفعله أن نبقي الجملة على ما هي عليه نشاهدها، ونتمتع بجمالها، ونذير البصيرة في محاسنها خاشعين متأملين، لأننا لو ذهبنا نشرح ونفسر لخشينا أن نكون كالأحمق الذي وقف أمام القمر يمدحه ليلة اكتماله:

وإذا الحسن بدا فاسجد له فسجود الشكر فرض يا أُخيّ

الإمامة العلميّة في الإسلام

ليست الإمامة في الإسلام بكثرة حفظ العالم للنصوص فإنا رأينا من برع في الحفظ حتى صار مضرب المثل ثم لم يتأهل للإمامة كالأصمعي لانشغاله بالأدب عن السنة وكابن عقدة لتشيّعه وكالواقدي لتخليطه وقلّة صدقه، وليست الإمامة كثرة تفريع المسائل كما فعل محمد بن أحمد الشيباني والسرخسي صاحب المبسوط، وليست هي تولي منصبٍ مرموقٍ يأمر منه كفعل إبراهيم بن أدهم ومعروف الكرخي بل الإمامة هي الإلمام بعلم الشريعة والعمل بهذا العلم وتبليغه للناس والصبر على الأذى في ذلك والزهد في الدنيا والإخلاص لله والصدق معه وهذا ما فعله أئمة الإسلام كابن المسيب والحسن البصري ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم فإن هؤلاء الأئمة مثّلوا الإمامة العلمية في الإسلام بحق وحملوها بصدق: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

إرشـــاد

لو خصصت يوماً في الشهر تتصل بأرحامك وأقاربك وأصدقائك

خاصة البعيدين عنك لكان هذا حسناً فإن السلام وسماع الصوت نصف الزيارة وأصبح الهاتف الآن يؤدي الغرض مع توفير الوقت وعدم الإثقال على المزور. وما أعظم أن تبادر أرحامك خاصة القريبات منهن كالوالدة والعمة والخالة والبنت والأخت بالسلام والسؤال عن الحال والدعاء لهن والاطمئنان على أخبارهن ومن أراد الخير يسَّره الله له.

ومن شر حاسد إذا حسد

الحاسد لا يحكم إلا عليك، ولا يرضى بحكمك، ولا يسعده منك شيء، ولا يعجبه كلامك، ولا مالك ولا ولدك ولا بيتك، ومهما اجتهدت في إرضائه فلن يرضى عنك فلا تطمع في مودته، ولا تأنس بقربه، وعم عليه أمرك وابتعد عنه، فإن جمرة العداوة كامنة في صدره، ولا يذهبها إلا ذهاب مالك وذلتك ووقوع أقسى العقوبات بك وأفظع الكوارث وأشد المصائب، وهو مع صروف الدهر عليك، ومساعد من عاداك، ومحب من سبك، ومعين من اغتابك، وصديق من ذمك، محاسنك لا تزيدك عنده إلا سوءاً ومقتاً، فأنت عنده مذنب لا توبة لك حتى تنخلع من مواهبك وتنسلخ من صفاتك الحميدة، يكبّر أخطاءك، ويرتع في عرضك، ولكن يكفيك نصراً ما هو فيه من ألم، قال أبو الطيب:

إني وإن لمت حاسدي فما أنكر أني عقوبة لهموا

شهرة بلا معنى

طالعت كلام ابن سيناء ورأيت كتبه فإذا الرجل معرض عن الوحي: كتاباً وسنة غارق في الفلسفة له كلمات تقدح في أصول الدين مع العلم أنه من الأذكياء الكبار وطبقت شهرته العالم ولكن المقصود هو هداية القلب وسلامة النهج وسداد المذهب وقد رأيت ابن تيمية أغار عليه ورد على كثير من شبهه وأورد أخطاء كبارا له وقد أصاب شيخ الإسلام في ذلك كل الصواب فإن ابن سيناء وافق الباطنية الإسماعيلية في كثير من أصولهم وليس له علم بالسنة وخدعته الفلسفة فغرق في بحرها المظلم وليس للعبد أنجى وأهدى من الكتاب والسنة فالله الله في العودة الصادقة لهذا الميراث المبارك.

بديهة لمّاحة

من أبرز صفات الخطيب الفائق: أنه صاحب بديهة حاضرة تسعفه أبداً كلما احتاج لها، يعود إليها كلما احتدمت خواطره، وتدافعت أفكاره، ووقع في لبس، فتقدح له بديهته زند العطاء بلا تأخر.

إن هناك مواقف تمر بالخطيب لم يضرب لها حساباً تفجؤه وحوادث وقضايا وطوارىء وأفكاراً، فإن لم تكن لديه بديهة وقع في الارتباك وأفحم وانقطع.

إن اللحظات المفاجئة لا تنتظر من يُحضِّر لها ويتمهل في طلب الإجابة.

لا . . بل الآن تريد أجابة سريعة مناسبة .

خطباء التأريخ أهل بداهة يجدون في أذهانهم مدداً لكل مناسبة، وحديثاً لكل حادثة، يقول أحدهم فلا يخطىء، ويجيب فلا يبطىء .

ماذا يفعل الخطيب البارد لو قاطعه رجل لَسِن ذو جدل، وخالفه في قضية، وأورد عليه إشكالا لم يكن في حسبانه، حينها يقع الفشل أمام الجمع، ويحصل الانحدار بل السقوط .

نعمة العقل

من أجلّ نعم الله على العبد نعمة العقل فإن الرجل قيمته بين الناس في الدنيا بعقله زيادة ونقصاً وما نبل إلا لزيادة عقله وما حمق إلا لنقص عقله وإنك لتعلم من الناس النقص في العقول إذا تلمحت ذلك، فالكلمة في غير محلها من نقص العقل والفحش في القول وخلع جلباب الحياء من نقص العقل. وعدم التفكر في العواقب والتهور في الأمور من نقص العقل وعلى ذلك فقس ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ والاتزان في المجلس وحسن الجواب واختيار الكلام الحسن وحسن المداراة والتثبت في الأمور والانتباه للعواقب من تمام العقل، وقد يكتسب العقل بالتجارب ودراسة التأريخ وطلب العلم وتربية النفس ومن نقص عقله فالصمت أحسن شيء له لكن الصمت يحتاج إلى عقل. فعدنا من حيث بدأنا!!.